# حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م

**د. صالح بوسليم**
**المركز الجامعي بغرداية**
**د. محمد الزين**
**جامعة سيدي بلعباس**

ارتبط الوضع الاجتماعي في الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر بنشاط الطرق الدينية التي كان لها تأثير مباشر في الحياة الثقافية وتحكم في توجهات السكان الروحية ومواقفهم السياسية. فقد عملت على تعميق روح الانتماء والأخوة الإسلامية بين قبائل الريف الجزائري بواسطة إرشاد أخلاقي وتوجيه روحي، وذلك عن طريق المواظبة على العبادة وتلاوة الأذكار وحضور حلقات الذكر؛ التي غالبا ما يرافقها عند بعض الطرق الدينية الرقص والإنشاد الجماعي والاستغراق في حالات من الوجد والانجذاب الصوفي[1]. لقد استطاعت هذه الطرق الصوفية أن تملأ الفراغ الثقافي والروحي وحتى السياسي الذي كان يعيشه الفرد في الريف الجزائري نتيجة انعزال الحكام وارتباط الفقهاء بالمدن، فكانت وسيلة تأطير قادرة على جمع السكان وحفظ مصالحهم وتوجيههم لمقاومة الغزو الأجنبي؛ باعتبار ذلك جهادا مقدسا وواجبا دينيا. وقد كثرت الزوايا، وانتشرت الطرق الصوفية بالجزائر في العصر الحديث بصورة خاصة، وقوي نفوذها الديني، وتأثيرها الثقافي والاجتماعي والسياسي[2].

وتميّزت هذه الطرق بتعددها، وكثرة شيوخها، واختلاف ميولها، وتباين أسبابها وأسست كثير من الطرق فروعا لها، أو بنت زوايا مستقلة في الصحراء، أوفي أطرافها. ومن أهم الطرق الصوفية التي ثبّتت نفسها في الصحراء الجزائرية وما وراءها، وكان لها في الوقت ذاته امتداد بارز في إقليم توات (أقصى جنوب غرب الجزائر)، نذكر من أبرزها: الطريقة القادرية، والتيجانية، والشيخية، والكرزازية، والسنوسية.

## 1- أشهر الطرق الصوفية بتوات ونشاطها:

### أ. الطريقة القادرية:

تنسب إلى سيدي عبد القادر الجيلاني، (أو الكيلاني) دفين بغداد (ت 561هـ/ 1166م)، وقد عاش في بغداد، وتصدى للتدريس والإفتاء على المذهب الحنفي، واشتهر بالزهد والتقوى[3]. وقد انتشرت القادرية خصوصا في منطقة التل

الوهراني وجنوب الجزائر، كما انتشرت في جنوب المغرب الأقصى على يد الشيخ **سيد أحمد البكاي** بودمعة[4] ، الذي امتد نفوذه في اتجاه الجنوب؛ ليشمل واحة توات، والهقار، وأطراف السودان. ولا يخلو قصر من إقليم توات؛ إلا وتجد فيه مريدون، أو تباع للطريقة القادرية. ويعد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[5] ؛ مؤسس الزاوية القادرية بمنطقة توات. وبواحات هذه الأخيرة تطورت الطريقة القادرية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر للميلاد، وقد أصبح الشيخ الكنتي سيد علي بن أحمد الرقادي (تـ 1120 هـ) قطبا للطريقة، وكان شيوخ كنته يزورون برنو ويطبقون الطريقة القادرية[6] .وقد تأثر الشيخ سيد المختار الكبير بأفكار وآراء الشيخ الزروق، وقام بالدعوة لهذه الطريقة بمنطقة الأزواد.

وربما لانكون مغالين إذا قلنا أن الطريقة القادرية في هذه المنطقة ارتبطت ارتباطا عضويا ،ووجوديا بالكنتيين، فهم الذين حملوا العبء الأكبر في نشر تعاليمها،وأورادها،ومنهجها في التربية الروحية، والتعليم، حملوه في كافة أرجاء هذه الصحراء وبلاد السودان الغربي،كان ذلك بالطبع تكملة للدور العظيم الذي قام به الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. وفي أوائل القرن الثاني عشر الهجري أسس شيوخ كنته مدينة مبروك (Mabrouk) التي صارت مركزاً لنشر الطريقة القادرية، وظهر بين جماعة كنته عدد كبير من الفقهاء الذي صارت لهم القيادة الدينية في القرن الثامن عشر الميلادي وتوسعوا خارج الحدود القبلية، وأدخلها إلى السنغال الشيخ سيد أحمد البكاي[7]، ويعتبر بحق علما لامعا في عطائه المعرفي، وسلوكه الإسلامي. وبرز الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1266هـ/ 1811م) الذي نجح بسبب تمتعه بصفات حميدة وثقافة عالية في أن يصبح قطبا للطريقة القادرية، وصارت له مكانة روحية كبيرة بين قبائل الصحراء، وقد ألّف أكثر من ثلاثمائة رسالة عن الإسلام ودوره في العالم ،وصارت تعاليمه التي حملها تلاميذه من أبرز العلامات التي ساعدت على انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في السودان الغربي والأوسط.

وينحدر هذا الأخير من قبيلة كنته التواتية في الجنوب الجزائري، وقد سكن تمبكتو واتخذها مركزا للتعليم،وأسس زاويته إلى الشمال من تمبكتو مع نهاية القرن الثامن عشر ، ثم تأسست فروع أخرى لهذه الزاوية من تمبكتو وماسينا،وارتادها الطلبة من مختلف الأقاليم في غرب أفريقيا. وساعد على نشر الطريقة القادرية أيضا العلامة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي زار كل من كانو وكاتسينا[8] في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وشارك في نقل تعاليم الطريقة القادرية في مراكز

الهوسية. والحقيقة أن الطريقة القادرية عرفت المجال الأكبر لانتشارها في غرب إفريقيا بعد أن تزعم عثمان بن فودي[9] عملية هذا الإحياء القادري وفي الشمال الإفريقي يوجد على رأس الطريقة أو الزاوية شيخ الطريقة أو شيخ الورد، ويليه الخليفة أو النائب ويلي النائب مساعدوه ويطلق عليهم المقدمين، وأخيرا الإخوان وهم سائر أتباع الطريقة ويطلق عليهم اسم الأصحاب.[10]

والخلاصة أنه بفضل هذا التصوف في الشمال الإفريقي قويت فكرة أن الأولياء الله والصوفية بوجه عام قوة إلهية ،وصارت فكرة عامة ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي واستمرت حتى الوقت الحاضر[11]، ويتمثل الذكر الأساسي في القادرية في" لا إله إلا الله" ويتم أداء الذكر على النحو التالي: " بكل قوة على القلب معتقدا أنه لا إله إلا الله هو المحبوب وأن الله وحده هو الكائن الحقيقي والهدف الأسمى والنهائي لكل الحياة.

يجلس الذاكرون على الركبة مثل وضع الصلاة ويوجهون أنفسهم إلى القبلة ويجب أن يغلقوا أعينهم ويجيب أن يقولوا كلمة**"لا"** ساحبا الصوت من مخه، وبعد ذلك يجب أن يضغط على الكلمات**"لاإله إلاالله**وقد ألّف الشيخ سيدي المختار الكبير كتابا سمّاه"الكوكب الوقاد" ويحتل هذا الكتاب أهمية كبرى في الطريقة لأنه تناول فيه أسس الطريقة القادرية ومؤسسها، وتناول كراماته ومزايا ورده، بالإضافة إلى فضل الأذكار وأهميتها في الحياة الدنيا والآخرة. فالورد القادري متصل بالسلسلة النبوية وذلك لما أظهره الشيخ عبد القادر الجيلاني من كرامات وصل إليها عن طريق تربية النفس المرتكزة عن إذلال النفس، والتضرع بالجوارح والإبتعاد عن الناس والتقرب إلى المولى عز وجل بالأذكار والأوراد المعلومة في الورد القادري[12] ومن مميزات الطريقة القادرية في وسط الكنتيين أنها كانت تتحاشى ما كان شائعا لدى أهل توات وغيرهم، فتمنع رفع الأصوات عند الذكر الجماعي[13]، وتتم عملية قراءة الأذكار عند التقاء المريدين بطريقة هادئة سواء أكانت فردية أم جماعية ويتم ذلك كله تحت إشراف مقدم الطريقة. **التيجانية** أسسها سيدي أحمد بن محمد التجاني في عين ماضي مقر أسلافه المتأخرين باعتبار أن جده الرابع سيدي محمد بن سالم انتقل من قبيلة عبدة، أحواز مدينة أسفي مع أسرته بالمغرب الأقصى- إلى بني "توجين"[14] أو "تجانة"[15]،وتزوج منهم، وصار أولاده وأحفاده يعرفون بالتجانيين ولد سنة 1150هـ/ 1737م بقرية عين ماضي(50كلم غرب الأغواط) ونشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبعة أعوام[16]..إن البيئة التي ترعرع فيها سيدي أحمد التجاني، بعين ماضي، وتأثر بقيمها، ونهل من معين علمائها ورجالاتها، تُعد بيئةً مُفعمة بالعلم والورع؛ باعتبارها مركزاً للمعرفة والولاية والصلاح؛ منذ

تأسيسها في حقبة تاريخية غير معروفة بشكل مضبوط[17]. وهكذا فحيثما كان يتحرك سيدي أحمد التجاني الطفل، ثم الشاب داخل هذه البلدة، كان يجد نفسه بين أهل العلم والمعرفة، وفي رعاية الفقهاء والصلحاء. إن كان في بيئة وأحضان أسرته وجد نفسه جنبا إلى جنب مع متبعي السنة النبوية من المتيمين بالعشق الإلهي والنور المحمدي، وإن خرج إلى المسجد، والزواية صار في رحاب أساتذة، وعلماء مجنّدين لتلقين تلامذتهم ما يُفيد ويُقرّب إلى الله من العلوم الإسلامية.

– الطريقة وإذا كانت بلدة عين ماضي على هذه الأهمية من العلم، فإن جل أفراد أسرة شيخنا الذين يشكلون إحدى مكونات هذه البلدة العلمية، كانوا على مستوى رفيع من علمي الظاهرة والباطن. فأبوه محمد ابن المختار كان شيخ زاوية[18]، ويذكر عنه علي حرزام برادة أنه: "الشيخ الإمام كهف الإسلام وملاذ الأنام العالم الشهير الورع الكبير الدال على الله والجامع عليه... محجة العلماء ومحجة السالكين المسترشدين ... وكانت تأتيه الروحانية، يطلبون منه قضاء حوائجهم كان يمتنع ويقول اتركوني بيني وبين الله، لا حاجة لي بالتعلق سوى الله... وكان له بيت في داره لا يدخله أحد إلاّ لذكر الله"[19].

كما أن أمه عائشة بنت الولي الجليل سيدي محمد السنوسي التجاني الماضوي كانت سيدة فاضلة ذات أخلاق كريمة لها من الصلاح مكانة عليّة ومرتبة سنية[20]، وفي هذه البيئة نشأ أخوه محمد المكنّى بابن عمر حافظا للقرآن الكريم مشاركا في علوم الشريعة متقنا لعلوم الفرائض والحساب[21]. العلم والمعرفة، فأجداده كانوا في معظمهم من خيرة العلماء على غرار ما نقرأه عن جدية الثالث والرابع. عندما يتعمق الباحث في دراسة عمود نسب سيدي أحمد التجاني وتراجم أسلافه، يتأكد من علو كعب أسرته في في ظل هذه الرعاية النموذجية، وفي أحضان هذه الأسرة المحبة للعلم والصلاح نشأ أحمد التجاني كريم الأخلاق مقبلا على الجد والإجتهاد متمسكا بالدين وسنة المهتدين معظما عند الخاصة والعامة، وبعد أن تم حفظ القرآن وقراءته على شيخه العارف بالله سيدي عيسى بوعكاز الماضوي التجاني[22]. اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفروعية والأدبية حتى تعمق فيها وأدرك أسرار معانيها،يستوي عنده في اهتمامه المنقول والمعقول.وعلى شيخه المذكور قرأ مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري كما تتلمذ في نفس العلوم على شيخه سيدي المبروك التجاني[23].واستمر في طلب العلم ببلاده حتى بلغ مرتبة أهلته للتدريس والإفتاء قبل أن يرحل رحلته الأولى إلى فاس.

ثم ما لبث وهو في عين ماضي أن مال إلى الزهد والانعزال والتأمل وحبب إليه التعبد وقيام الليل حتى إذا بلغ سن الرشد صار يدل على الله وينصح عباده وينصر سنة رسوله ويحي أمور الدين وقلوب المؤمنين، فصار يضرب به المثل في إحياء السنة وإتباع المحجة البيضاء، وحق له أن يسمى محي الدين ومجدد ما اندرس واضمحل من إيمان المسلمين[24].

ومن أجل استكمال المعرفة وطرق أبواب الولاية ارتحل لفاس سنة 1171هـ/ 1758م والتقى بالعديد من الصالحين[25]، ولعل وقوع اختياره على هاته المدينة، لتكون أول بقعة يضع على أرضها رجليه، لم يكن صدفة، بل كان صادراً عن اقتناع وبعد نظر، فالمدينة الإدريسية حركت مشاعره لعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها أهميتها العلمية وقداستها ورمزيتها التاريخية، وقوة شحنتها الروحية وعداء أهلها للأتراك الذين يكرههم بدوره، علاوة على أنها جزء من المغرب الأقصى- بلد أجداده الذين نزحوا إلى المغرب الأوسط (الجزائر) من ناحية مراكش، وهذا ما يفسر تعدد زيارته لمدينة فاس إلى أن استقر فيها بصفة نهائية، ورغم أن كل هذه الأسباب تبقى واردة إلا أن الدوافع العلمية والروحية تتصدرها كلها.

غادر سيدي أحمد التجاني إذن عين ماضي في اتجاه مدينة فاس وهو في بداية عقده الثالث، حسب تقدير البعض. وخلال المدة التي قضاها بها كان يحضر مجالس أهل العلم ليستمع لبعض ما يدور فيها من شروح وتفاسير في علوم القرآن والحديث، ومن زاوية الشيخ بالصحراء انتقل سيدي أحمد التجاني إلى تلمسان، ثم غادرها عام 1186هـ، قاصدا زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه السلام، وبعد أن حقق هذه الرغبة، بذل عدة مساع لملاقاة قطب المدينة المنورة سيدي محمد بن عبد الكريم السمان إلى أن التقى به. وخلال هذا اللقاء طلب من سيدي أحمد التجاني أن يدخل الخلوة عنده لمدة ثلاثة أيام، فاعتذر عن عدم تلبية هذا الطلب، لسبب لا يعلمه إلا هو، ورغم ذلك أذن الشيخ السمان لضيفه في جميع الأسماء وأخبره بأنه هو القطب الجامع، وبشره بنيل المرام والحصول على الإذن المطلق العام[26].

وبعد عودته من المشرق إلى المغرب وارتحاله ثانية إلى فاس عاد منها ليستقر به المقام بقصر أبي سمغون حيث ضريح الولي الصالح الذي سمي القصر باسمه[27]. ومما يسترعي الإنتباه في هذه الإقامة طول مدتها التي ناهزت أربع عشر- سنة قبل رحيله النهائي إلى فاس. ويلاحظ أنه قبل حصول هذا الفتح تغيب عن قرية أبي سمغون مرتين لفترتين قصيرتين على ما يبدو، قصد إنجاز ما تبقى من المساعي الضرورية لنيل المراد فتوجه في المرة الأولى إلى توات لزيارة العارف بالله سيدي محمد بن

الفضيل، وهو من أهل قورارة فأخذ كل واحد منهما عن الآخر بعض أسرار الطريق[28]، كما لقي في توات بعض الرجال الكمل، و"اشترى منه شيئا من الأسرار بثلاثة عشر محبوب من الذهب الخالص"[29].

أما في المرة الثانية فقد توجه إلى مدينة تازة، وبها التقى بصاحبه وتلميذة العارف بالله سيدي محمد بن العربي الدمراوي التازي. في غمرة هذه الأجواء العطرة والتردد على الأعتاب الشريفة، حصل لسيدي أحمد التجاني الفتح بأبي سمغون منذ السنة الأولى التي أقام بها بعد رحيله من تلمسان عام 1196هـ أما عن الورد التجاني فيتمثل في الاستغفار مائة (100) مرة والصلاة على سيدنا محمد مائة (100) مرة، ثم أضيف في الورد اللازم مائة من الكلمة المشرفة لا إله إلا الله[30].وبعد أن ركز سيد أحمد التجاني أسس الزاوية الأم بعين ماضي بقي على هذه الحالة ينشر الطريقة ويأذن في الأوراد متنقلا بينها وبين أبي سمغون وتوات، وعن طريق هذه الأخيرة انتشرت في واحات الصحراء، لكنها لم تستطع التوسع شمالا حيث التجمعات الكثيفة من السكان، لأنها كانت تقلق الحكومة التركية، بل أدى بها خوفها إلى شن حملات عسكرية على عين ماضي وفرض إتاوة على الشيخ التجاني وأتباعه[31].

وإذا ما صدقنا ما ورد في بعض الكتابات الفرنسية حول الموضوع[32] فإنه في هذه المرحلة زار الشيخ التجاني تونس و الصحراء و السودان الغربي، يؤسس الزوايا أحيانا و يعين المقدمين أخرى في الأقاليم التي يمر بها من أجل ضمان انتشار واسع لطريقته، بتلك الأصقاع، دون الإفصاح عن مصادرهم في هذه الإفادات في حين لا تذكر الأدبيات التجانية شيئا عن مثل هذه الرحلات . هذا وقد كان لدعاة الطريقة التجانية نشاط في الوسط الصحراوي، حيث ساهمت في نشر الإسلام في إفريقيا وجنوب الصحراء، وقامت بدور هام تمثل في (أسلمة) القبائل الإفريقية المسيحية والوثنية[33] .

وانتشرت هذه الطريقة بشكل واسع في إفريقيا جنوب الصحراء على حساب القادرية،وقد هادنت الاستعمار في الجزائر منذ 1840[34] ، لكن دورها في إفريقيا الغربية ظلّ معتبرا،وقد لاقت التيجانية نجاحا عظيما في السنغال وفي وادي النيجر(مالي) بفضل شخصية الحاج عمر طال[35] (1797م-1864م)، وأولاده فيما بعد. وقد وصلت مبادئ التيجانية إلى واد

السنغال في مطلع القرن التاسع عشر[36]، وسرعان ما هرع الإفريقيون إلى الانتظام في صفوفها، وكانت قبائل التكرور في مقدمة المنضمين إلى صفوف التيجانية، وإلى هذه القبائل ينتسب الحاج عمر، الذي قاد التجانية الإفريقية وعرفت باسمه

### .ج- الطريقة السنوسية:

التي تنسب إلى السيد محمد بن علي السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد بن شهيدة، ويرجع في نسبه إلى الفرع الإدريسي من خلال إدريس الأصغر باني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة[37]. ولد سنة 1205هـ/ 1791م بمدينة مستغانم بالجزائر وأتمّ تحصيله بمدينة فاس وهناك أخذ الطريقة الشاذلية عن مولاي العربي الدرقاوي، وفي سنة 1235هـ غادر الجزائر براً حيث قام بزيارة تونس وطرابلس حتى وصل إلى الحجاز[38]، والجدير بالذكر أن السيد محمد بن علي السنوسي بعدما ترك كل شيء في بلده الأصلي في الواسطة

بمستغانم (الجزائر) أسس أول زاوية له في تاريخ الطريقة في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة سنة 1255هـ/ 1837م[39].ثم جاء ليستقر بالجبل الأخضر بليبيا لذا أنشأ زاوية بمنطقة الجغابيب سنة1271هـ في الجنوب الشرقي من بنغازي، وسميت زاوية الجغبوب[40]، وكانت هذه المنطقة مكان نزاع وصراع بين القبائل، وبمجرّد إنشاء الزاوية هناك تم تآلف تلك القبائل، ولم يعد هناك بينهم أي نوع من العداوة، وأصبحت مكان إصلاح وسلام[41]، وتوفي سنة 1276هـ/ 1860م.

ومنذ إنشاء هذه الزاوية أسس أيضا مسجد وبيوت لإقامة الطلبة، ولكنّها أخذت فيما بعد تكبر وتتسع حتى أصبحت كالمدينة. وكان يقيم بالزاوية خلال تلك الفترة مشايخ وعلماء وطلاب العلم مع أسرهم وأولادهم، ويضاف لتعداد القاطنين بها أيضاً الضِّعف والضِّعفين من الطلبة والزوار، ويزور الجغبوب العديد من الزوار القادمين من أماكن بعيدة، كما يوجد المئات من أبناء القبائل بصورة دائمة يدرسون الصرف والنحو والفقه، وغيره من العلوم العربية، وليكتسبون معرفة وعلماً حسب قابليتهم وذكائهم، وبعد ذلك يعود بعضهم إلى مسقط رأسه كعالم[42]. والطلبة الفقراء تؤمن لهم الزاوية عيشاً وسكناً مجانياً، كما يتولى بعض الفلاحين زراعة بساتين حول المدينة وتستفيد الزاوية من ريع تلك الأحباس وهكذا أصبحت واحة الجغبوب بفضل هذه الزاوية عاصمة للسنوسية في بادئ الأمر، ومن ثم معهداً إسلاميا على غرار الأزهر بمصر والقرويين بفاس والزيتونة بتونس، وكادت الجغبوب أن تضاهي الصروح العلمية فيما بعد إذا ما كتب لها ذلك. وامتازت السنوسية بوضوح

مناهجها في الدعوة والإصلاح، حيث دعت إلى إحياء الدين الإسلامي ومحاربة الجمود ونبذ البدع، وسرعان ما انتشرت عبر الصحراء الكبرى حيث نافست القادرية والتيجانية نظراً لإخلاص دُعَاتِها وبساطة تعاليمها[43].

وكان لكل زاوية رمزا وعلامة خاصة تضعها على ممتلكاتها ، من غنم ومواشٍ وغيرها، فإذا فقدت، أوضاع أي منها ،فإن أول رجل يعثر عليها سيرجعها إلى الزاوية بكل سرور وممنونية، ويضاف إلى ذلك أنهم لا يؤيدون البطالة والإتكال،كما لا يشجعون التصوف دون عمل واكتساب رزق، وشغلهم الأول تعلم العلم من جهة ومن جهة أخرى القيام بالعمل مثل الزراعة أو التجارة أو غيرهما[44]. أما عن ورد الزاوية السنوسية فيقرأ بعد صلاة الصبح ،حيث يردد اسم الجلالة "يالطيف" عدة آلاف المرات، ويختم بتلاوة الفاتحة تيمناً وتوسلا.

وتعد السنوسية الطريقة الوحيدة التي تدعو إلى العودة إلى المبادئ السمحة للقرآن والحديث، وتعرف بتشددها في مقاومة المنكرات والانحراف عن الدين، فكانت – مثلا- تمنع الرقص والموسيقى والغناء وتحرم المخدرات وغير ذلك من أسباب اللهو والفساد، وبهذا الاعتبار كانت قريبة من الحركة الإصلاحية الوهابية المعاصرة لها[45].وليس هناك من يجد في الطريقة السنوسية فرقا عن الطرق الصوفية الأخرى، وهي عبارة عن مجموعة من الأذكار والأوراد، ولكن هنا شيخ الطريقة بعد أن يسلم النيابة للمريد الجديد ويلقنه الأذكار والأوراد يأخذ عنه فيه عهداً وميثاقاً باتباع الشريعة الغراء والسنة المحمدية ويتمسك بأحكام الدين في كل حركاته وسكناته وجميع أعماله وفي الحقيقة إن أي مسلم لا يحتاج أن يقسم أو يعهد لأي شخص بأن تكون كل تصرفاته وسلوكه ضمن حدود الشريعة الإسلامية حيث أن ذاك فرض ومن واجبات الإسلام. وأنّ ما شوّق الناس هناك بالانتساب إلى هذه الطريقة إنما هو التلقين الذين يقوم به الشيخ، ثم أخذ العهد ومنح النيابة لكل مريد أو منتسب ولكن هدف الشيخ من نشر الطريقة هو إنقاذ قبائل الصحراء هناك من الضلالة والجهل، وتوجيههم إلى ما ينفع دنياهم وآخرتهم من طرق الإستقامة والتمدن وتبيان السبل التي تتبعها الدول الأوروبية سواء في الجزيرة العربية أو في إفريقيا لاصطياد الغافل والبسيط من عامة الناس حتى تغويهم وتحرِّف عقيدتهم بما تعرضه عليهم من مظاهر المدينة الزائفة[46].

وقد لعبت الزاوية السنوسية دوراً هاماً إبان الكفاح الجزائري ضد توغل الاستعمار الفرنسي بجنوب الجزائر، وخاصة عندما فكرت فرنسا في الإستيلاء على الأقاليم الصحراوية الجزائرية، لذا فقد عملت الزاوية السنوسية على توحيد صفوف الأهالي بمنطقة تيديكلت تحت لواء الزاوية، وهنا بدأت فرنسا تشعر بمدى الخطر الذي يُهدد مصالحها التوسعية والتبشيرية بالصحراء، وقد أشار إلى ذلك الضابط ديبورتر في تقريره حيث يقول:"إن السنوسية قد أحرزت في هذه المناطق يقصد (توات) خلال السنوات الأخيرة على تقدم سريع، حتى أن رئيس مقاطعة عين صالح قد أصبح واحداً منهم وهو أكثرهم

تشدداً.." ، ويختم قوله عن نشاط السنوسية بقوله: "إذا فالسنوسيون هم أعداؤنا ولا يمكن أن نستخف بهم ولكن الأحسن أن نراقبهم عن كثب في كل نشاطاتهم وتحركاتهم في الجزائر"[47].

وامتدت المقاومة الشعبية إلى إقليم توات، وتمثلت في النشاط الديني، والسياسي للزوايا الدينية هناك، بفضل تأييد ومساندة أتباع زاوية أولاد سيدي الشيخ، فقد إلتجأ كل من بوشوشة، وسي قدور بن حمزة[48] ،وبوعمامة إلى إقليم توات أثناء كفاحهم ضد فرنسا، حيث وصل الأول في صيف عام 1869م ومن هناك تمكن من متابعة مقاومته المسلحة بفضل تأييد ومساندة أتباع زاوية أولاد سيدي الشيخ المقيمة بمقاطعة زواد لدول، وعندما وقع أسيرا في قبضة فرنسا عام 1873م تزعم المقاومة سي قدور بن حمزة الذي كان قد وصل الإقليم قبل هذا التاريخ، وفي عام 1882م إلتجأ لإقليم محمد بن العربي بن حرمة المشهور(ببوعمامة)[49] واجتمعت حوله كافة المقاطعات التواتية تسانده، وتؤيده مما أزعج فرنسا التي بدأت تفكر جديا في احتلال الإقليم عام 1899م[50].ولما كان الإقليم لم يخضع لفرنسا طيلة القرن التاسع عشر ـ الميلادي، فإن الزوايا السنوسية هناك قد استطاعت تعبئة شعور الأهالي وتكتيلهم أمام تقدم فرنسا نحو الجنوب عام 1899م. ونستطيع أن نقول بأن كل هذه المحاولات الإصلاحية كانت تستهدف القضاء على البدع منادية بالعودة إلى الإسلام الصحيح ، ومحاربة التخاذل والاستسلام، الذي دبّ في نفوس المعاصرين، وذلك بالدعوة إلى العمل الجاد المخلص، كما نادت برفع مستوى المعرفة لدى الشعوب الإسلامية حتى تساير التطور الحضاري في الغرب. في مدينة وزان بالمغرب الأقصى، والمتوفى بها عام 1089هـ/ 1679م، وهي إحدى فروع الطريقة الشاذلية[51]. إلا أن نسبة الطريقة التصقت بأحد أبنائه المعروف بالطيب. درس السيد إبراهيم الوزاني في جامع القرويين على يد شيوخه وأعلامه، وكان معروفا بزهده وتقشفه، عرف الفقر إلى درجة عجز فيها عن دفع مهر زوجته[52]. أسس زاويته الأولى والتي ازدهرت على عهده وعرفت بإطعامها الطعام وإيواء الأيتام وتعليم العلم، وانتشرت أكثر بعد وفاته على يد إبنه محمد فتجاوزت حدود المغرب الأقصى لتصل إلى الجزائر وتنتشر عبر مختلف مناطقها، وبعده عمل أخوه الطيب – المعروفة الطريقة باسمه– على زيادة نشرها والعناية بالزاوية الأم الموجودة مقرها بمدينة وزان ويسمى بـ "دار الضمان" وهذا من سنة 1127هـ إلى 1181هـ. وكان سلاطين المغرب يتبركون بها قبل إعتلائهم العرش، حيث يقيمون إحتفالا وبعده يمسك أحد شيوخ الطريقة بلجام الفرس حتى يمتطيه السلطان. وجعلوا من هذه الطريقة سلاحا سياسيا يستعملونه ضد خصومهم ومنافسيهم من أبناء عمومتهم والمتطاولين عليهم.

### د- الطريقة الطيبية : تأسست هذه الطريقة على يد الصوفي مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني المعروف بالشريف الوزاني،

لقد أثّرت هذه الطريقة في الجزائر، فأجّجت روح الجهاد لدى الكثير من القادة والمجاهدين، ومنهم الشريف محمد بن عبد الله بومعزة صاحب ثورة 1845م[53] التي شملت منطقة الظهرة،والشلف،والونشريس، وامتدت إلى نواحي التيطري، سور الغزلان، وأولاد جلال، وعموما فإن للطريقة انتشارا واسعا في المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا ومصر. يعتبر الجنوب الجزائري من أكثر المناطق احتضانا لهذه الطريقة، وللطريقة أتباع ومريدون في العديد من قصور توات يواظبون على أذكارها وأورادها. تنسب للعلاّمة الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي(ت1013هـ)، وهي فرع من الشاذلية ، و كان مركزها في كرزار[54]. وهذه الطريقة لا يوجد ما يميزها عن الطرق الدينية الأخرى من حيث الأوراد، و لكنها امتازت بالدور السياسي المسالم الذي لعبته في وقت كانت فيه مناطق الحدود الجزائرية المغربية تتأجج بالاضطرابات و الثورات ضد الفرنسيين، وهذا الحياد هو الذي لفت أنظار سلاطين المغرب إليها في أكثر من مناسبة؛ و استخدموها لإخضاع بعض القبائل الصحراوية العاصية، و لا عادته إلى الطاعة[55].

### هـ- الطريقة الكرزازية

تذكر بعض الروايات الشفهية ،أن الشيخ سيدي عبد الله السبع الذي قدم من مدينة فاس باتجاه توات في القرن التاسع للهجرة. و قد مر بالشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، و دارت بينهما محاورة مطولة، فظهر الشيخ السباعي فَحْلاً من فحول الصوفية الكبار، ومنه تابع الشيخ رحلته إلى أن استقر به المقام بأرض توات حيث قام بتأسيس قصر سبع، وبعد تأسيسه لدار العلم والزاوية قدم إليه الطلبة والمريدون من كل حدب و صوب يطلبون سر وطريقة سيدي أحمد الكرزازي التي بدأ في تلقينها للعامة مع إجازتهم فيها. وما هي إلا سنوات، حتى انتقل خبر كل ذلك إلى شيخه سيدي أحمد بن موسى، مما اضطر الشيخ السباعي، إلى مخاطبة شيخه الكرزازي بهذه الرسالة التي تعرف عند أهل كرزاز بالرمز، وهي عبارة عن أشعار بالعامية، وهذا ما جاء فيها:[56]

اللّي يَطبع يَطبع صَافي أما لُمْشَبَبْ مَانّي فِيه

تخاف منو لا يكشف إلا طال الحال عليه

وفهم سيدي عبد الله السباعي ما يريد ورد عليه:

شيخه برمز كذلك أنا نْحُوشْ مـَا نْفَتّشْ

اللّي جْفَى مـَا نَجْفِيه و اتّبع الطريق اللّي تَجْلّيْه

نسايسه حتى ينس وجيه شبتكم تـــديه

ورد عليه الشيخ سيدي أحمد بن موسى قائلا: فلَحْت وَ أنت وَ الـلّي أدى عَليـك لَـوْرَاد، وَحْنَـا عنـد رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم"،ومنذ ذلك العهد وإلى يومنا هذا ظلت العلاقة بين الزاويتين قائمة على أساس متين و قوي.

## و- الطريقة الشيخية

مؤسسها الشيخ عبد القادر بن محمد(ت1025هـ/ 1615م)، الذي ينتسب إلى أبي بكـر الصـديق، وهـي فـرع مـن الطريقة الشاذلية، أخذها الشيخ سيدي عبدالقادر بن محمد بسنده عن شيخه أبي عبدالله سيدي محمد بن عبـد الرحمـان السـهلي، عن أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي، عن الشيخ سيدي أحمد زروق، عن الحضرمي عن القرافي عن ابن عطاء الله عن أبي العباس أحمد المرسي عن أبي الحسن الشاذلي عن أبي محمد بن عبد السلام بن مشيش، عن المدني عن أبيأحمـد الخزاعـي عن أبي مدين عن أبي يعزى عن ابن حرزهم عن أبي بكر بن العربي عن أبي حامد الغزالي عن أبي المعالي الجويني عـن أبي طالـب المكي عن أبي محمد الجريري عن أبي القاسم الجنيد[57] ..

وقد اشتهر صاحب الطريقة الشيخية بالعديد من الكرامات التي نسبت إليه، بحيث أطلق عليه لقب"سـيدي الشـيخ"، و أصبح أبناؤه فيما بعد يحملون ذلك اللقب"أولاد سيدي الشيخ". وقد قام بزيارة توات وتافيلالـت و فـاس و عـين مـاضي،ثم توجه إلى مغرار و عاد إلى الأبيض أين أسس الزاوية التي تحمل إسمه،وعند وفـاة سـيدي الشـيخ عُـين إبنـه الثالـث سي الحـاج بوحفص على رأس الطريقة الشيخية. كتبها في آخر حياته .وللعلم فإن أوراد هذه الطريقة لا تختلف عن أوراد الطريقة الشـاذلية إلا في النوافل بعد الفجر و العصر،وأوراد الطريقة الشيخية هي :

- قراءة الفاتحة ثلاث مرات،
- التشهد 300مرة؛
- الاستغفار100مرة؛
- الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و ذكر فضائله 100مرة؛
- ذكر كلمة التوحيد 100مرة؛
- حفظ و إنشاد لفظ الجلالة في الحضرة 3مرات بعد كل بيتين، و هي تسمى بالسلسلة الذهبية.إن الشيخية تجسد الزهد و الخلوة و الابتعاد عن العالم الدنيء، بالذكر والدعاء..الخ، فهي إذا نابعة من الكتاب و السنة، تنتقل في أذكارها من ذكر اللسان، إلى ذكر القلب إلى ذكر العقل إلى ذكر السر،وكانت منتشرة بمنطقتي قورارة[58] وتيديكلت، ولها أتباع ومريدين إلى يومنا هذا.**59**

### z- الطريقة الرقانية

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها مولاي عبد المالك (ت1207هـ) بن مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي علي بن مولاي الزين بن سيدي حم بن الحاج الحسني الرقاني. كان – رحمه الله – زاهدا في الدنيا مشتغلا بأوراده من صلاة الصبح إلى الضحى. ويقوم الليل إلاّ قليلاً منه، ولاينام فيه إلا قليلا قاعداً ونحو ذلك،كان حسن الصوت بالقرآن وكان سريع الاستدلال به، حاضر البديهية من كثرة حفظهله، وكان يحفظ الحكم العطائية وأحزاب الأولياء، كان كثير البكاء، قريب الدمعة، رقيق القلب، جل حديثه مع الناس في الوعظ وقصص الصالحين، ولا يتكلم كلمة من أخبار الدنيا إلاّ خرج منها إلى أخبار الآخرة بسرعة، لا يملَّ جليسه منه ولو جلس معه دهره كله. أخذ أوراد الطريقة عن والده الشيخ مولاي عبد الله عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان عن مبارك العنبري الغزواني عن محمد بن ناصر الدرعي عن سيدي عبد الله بن حسين الرقي إلى أن يتصل السند بأبي القاسم الجنيد. لقد كان لهذه الطريقة الفضل في بث روح الجهاد والمقاومة في نفوس سكان المنطقة، وخير دليل على ذلك أن تنظيم معركة الدغامشة[59] بعين صالح كان تحت قيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس والذي استشهد فيها في مطلع القرن العشرين. بالإضافة إلى هذه الطرق الدينية السالفة الذكر، فقد وجدت بعض الطرق الفرعية الأخرى منها الزيانية[60]،والبكائية[61]،والبكرية[62] وهي فروع من القادرية. والطريقة الموكحلية التي كانت منتشرة بمدينة عين صالح وفي بعض الجهات من منطقة توات، أما طريقة المليانى الشاذلية فكان وجودها محتشما[63] . بأن الطرق الصوفية بجميع فروعها قد قامت بدور ثقافي كبير لا يمكن تجاهله أو إنكاره بالرغم من الكثير من البدع التي لحقت بالتصوف بشكل عام. وكان لمؤلفات أقطاب الصوفية الأثر الأكبر والفضل الأعظم في نشر الثقافة الإسلامية بين أقدام الوثنيين بإفريقيا جنوب الصحراء.

ونخلص إلى القول؛ ثانيا: الطرق الصوفية محور الدعوة الإسلامية في إفريقيا الغربية جنوب الصحراءلقد لعبت الطرق الصوفية الدور الأساسي في نشر الإسلام إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، إلى جانب ارتباطها بالدعوة والجهاد،حتى أنه لا يمكن أن نؤرخ للجهاد والدعوة في إفريقيا الغربية دون الحديث عن الصوفية وطرقها والدور الذي أسدته للدعوة الإسلامية. وقد استطاع رجال الطرق الصوفية أن ينشروا كلمة التوحيد، وأن يرفعوا رايات الإسلام والدعوة المحمدية في قلب الغابة الاستوائية.وقد برز دور دعاة الطرق الصوفية عندما خرجت أوربا منذ القرن السادس عشر في حركتها الشعبية التي

استهلتها البرتغال من أجل نشر المسيحية وضرب المسلمين في أرزاقهم وثرواتهم، ومن هنا بدأ الصدام وظهر الجهاد في مطلع العصور الحديثة.

وقد تشعبت الطرق الصوفية وأصبحت تنسب إلى أقطاب هذه الطرق وصارت هناك أربع طرق رئيسية تتفرع منها عدة فروع وتنتمي الطرق الرئيسية إلى كل من الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ أحمد البدوي والشيخ إبراهيم الدسوقي، وعرفت باسم القادرية والرفاعية والأحمدية والبرهانية كما كان من أبرز الطرق التي تفرعت ولعبت دورا مهما في حركة الجهاد والدعوة الطريقة التيجانية في الجزء الجنوبي من القارة وهي من الطرق الثلاث المشهورة في السنغال ولها أتباع كثيرون[64] وإن كانت القادرية هي الأقدم من حيث النشأة في السنغال ولكنها الأقل أتباعا.

إلى جانب ذلك برزت الطريقة المريدية في الغرب الإفريقي ومؤسسها هو الشيخ أحمدو بامباكي، واسمه الحقيقي محمد بن حبيب الله الذي ولد سنة 1272هـ/ 1855م، في قرية صغيرة أسسها جده تسمى "مباكي باول" بالسنغال[65]، وقد كانت جهود هذه الطريقة بمثابة الخطوة الحالية وهي إحدى الطرق التي تفرعت عن التيجانية، وهي تحمل اسم الشيخ حمى الله، إلا أنّها قامت بناءا على تعاليم أحد المشايخ من واحة توات يدعى سيدي محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف باسم الشريف الأخطر. إن طريقة المريدية رغم أنها في قالب صوفي من حيث الشكل لكنها أقرب إلى مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المعاصر،بل إن الدارسين للاقتصاد السنغالي يعتبرون المريدية هي التنظيم الاجتماعي الأهم الذي أعاد قيمة العمل إلى نصابها الحقيقي، وقام بتثمينها بشكل غير مشهود من طرف بقية المؤسسات الاجتماعية[66].

– إن الطرق الصوفية قد وجدت نفسها أمام تحد سافر في تلك المجتمعات، وكان لابد من إيجاد نوع من التعليم الديني للقضاء على الجهل، ونشر قواعد الدين الصحيح بعد تعلم اللغة العربية قراءةً وكتابةً.

– لعبت هذه الطرق دوراً دينياً، وسياسياً مهماً، كان له كبير الأثر في تاريخ وحضارة ونهضة إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، حيث صار كل مسلم في هذه القارة يرى ضرورة ارتباطه بإحدى الطرق الصوفية التي أقامت الزوايا للعبادة، ولإيواء الوافدين والقيام على شؤونهم. وفي الوقت نفسه؛ فإن الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في المجال الاقتصادي لا يقل بحال من الأحوال عن الدور السياسي في نشر الدعوة الإسلامية.

– تبيّن للباحث أن الطرق الصوفية لعبت الدور الأساسي في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء؛ إلى جانب ارتباطها بالدعوة والجهاد. وإذا ما استثنينا الطريقة الكرزازية التي لم يكن لها سوى دور محدود جدا ، فان جميع الطرق الصوفية

التي عملت على نشر الإسلام في الصحراء وفي إفريقيا جنوب الصحراء ، هي إما جزائرية مثل السنوسية، والتيجانية، والشيخية ،أو أنها قد انطلقت من الجزائر حيث استقرت قواعدها في صحرائها ( توات مثلا) ، وانتظم أتباعها مثل الطريقة القادرية.

– أصبح الإقليم التواتي منذ القرن الخامس عشر مركزا أماميا لنشر الإسلام بالسودان الغربي، واستمر التواتيون يُغذون هذه المناطق بالأفكار والثقافة الإسلامية، بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويرجع الفضل في انتشار تعاليم الطرق الصوفية هناك إلى الفقهاء والتجار التواتيين الذين أسهموا في بناء الزوايا والمساجد في حوض النيجر وجنوب الصحراء.

**الإحالات** :

[1]. سعيدوني(ناصر الدين):"مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية"،(نموذج بلاد القبائل)، بحث قدم في المؤتمر العالي للتعليم و التربية في العالم العثماني باستنبول في 12-15 أفريل 1999م (عمل غير منشور) ، ص ص 10و17-18.

[2] .يحي بو عزيز: ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر و العشرين الميلاديين،ط2 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر 1998م،ص 339.

[3] .أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط4، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983م، ص211.

[4] .ذكر عنه البر تلي، أنه: "كان من عباد الله الصالحين والأولياء المعروفين المشهورين، يزوره الناس من كل فج في كل ساعة، يزوره الشرفاء والأولياء والصالحون وغيرهم، وأكثر الناس زيارة له الغرباء وأهل التل والمسافرون الذين يأتون بالتجارة من جهة الشمال"، ينظر: البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م ، ص ص30-31.

[5] .هو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، ولد بالقرب من تلمسان وعلى الأرجح بمواطن قبيلة مغيلة البربرية بالغرب الجزائري، نشأ بتلمسان، حيث تلقى تعليمة على يد شيوخها، ثم تحوّل إلى مدن أخرى بالمغرب الأوسط والأقصى لمتابعة دراسته، فأخذ عن الشيخ يحي بن يدير وعن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي عالم الجزائر ووليها ( ت 875هـ/1470م) كما درس على الشيخ أبي العباس الوغليسي ببجاية، فاكتسب ثقافة دينية وأدبية أهلته لأن يعد من علماء عصره، فنال التقدير وحظي بالاحترام من طرف العديد من العلماء. وكان المغيلي من أكابر علماء القرن التاسع الهجري/15م، لما اشتهر به من ثورة على تخلف وانحراف المنطقة التي هاجر إليها عقب ظروف خاصة بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وقد اتخذ المغيلي منطقة توات وتمنطيط مستقراً ومجالاً للدعوة وتجديد روح الإسلام ثم اتصل بحكام الهوسة الوثنيين بالسودان الغربي، وكانت له محاورات مع الحاج محمد الأسقيا حاكم سنغاي، كما كان للمغيلي مواقفه الحادة من سيطرة اليهود على تجارة السودان الغربي، فحارب نفوذهم ودعاهم إلى الالتزام بالعهود والنصوص الإسلامية والقوانين الضابطة لعلاقات المسلمين بأهل الذمة في الدولة الإسلامية.

أنظر: ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م، ص266.

أنظر: أحمد بن يحي الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق الأستاذ: محمد الأمين بلغيث، مؤسسة لافوميك للنشر والتوزيع، الجزائر 1985م، (مقدمة المحقق) صفحات، ص 05-13.

**وراجع أيضا:** Bargés (L'abbé), complément de l'histoire des Beni zeiyan, rois de Tlemcen, Paris, 1887, p389 .

[6]. ينظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة (د.ت)، ص37.

[7]. صمبا عامر: الأدب السنغالي العربي، (ش.و.ن.ت)، الجزائر 1978م، ج1، ص33.

[8]. كاشنه، أوكاتسينا من إمارات الهوسا في شمال نيجيريا، وقد بدأ دخول الإسلام إلى أرض الهوسا قبل القرن الخامس عشر ، وابتداء من هذا القرن حظيت باهتمام عدد من العلماء المسلمين من شمال إفريقيا كمحمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري الذي زارها و عمل على نشر أفكاره الإصلاحية بينها ، وعبد الرحمان السيوطي (ت911هـ/ 1505) ومن كبار علمائها الشيخ محمد بن محمد الفلاني الكشناوي-من رجال القرن الثاني عشر- الذي أخذ عن علماء بلده ،ثم رحل لطلب المزيد ، فحجّ وجاور وعاد إلى مصر ومات بها سنة 1154هـ/ 1741م، وقد ألّف رحلة وعددا من الكتب، وترجم له الجبرتي في عجائب الآثار .ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ،ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ،1983 ،ص 550.

**أنظر أيضا:** د.أ.م كاني،" مظاهر الإتصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقيا ووسط السودان بين سنة 700و1700م مع إشارة خاصة إلى كانم-بورنو وأرض الهوسا "، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، السنة الثالثة، العدد الأول (يناير 1981م)، ص ص 9-26.

[9]. ولد الشيخ المصلح الداعية عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن جب الملقب إبن فودي بولاية سوكوتو، في نيجيريا الحالية، يوم 29 صفر 1168هـ الموافق لـ 17 نوفمبر 1754م وينحدر من عائلة مثقفة توارثت العلم والثقافة خلفا عن سلف منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وكان من اكبر علماء السودان آنذاك، ومن أثاره العلمية: -كتاب سماه:"تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان" ومن كتبه الأخرى: نور الألباب، وأصول الولاية ، وإحياء السنة وبيان البدع، وترغيب العباد، والجهاد، وعلم المعاملة، ونصائح الأمة، والهجرة...وقد تفرغ في آخر حياته للدعوة والتدريس واستقر في مدينة سوكوتو وواصل عمله الإصلاحي التربوي والتثقيفي إلى أن وافته المنية عام 1817م.ودفن بها. ينظر: يحيى بوعزيز تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين: دار هومة ،الجزائر،2001م ، ص ص141-149.

[10]. عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص 50.

[11]. ألفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوى، دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت 1981، ص ص421-425.

[12]. الشيخ سيدي المختار الكبير، الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، مخطوط، خزانة شيخ الركب النبوي، الزاوية-أقبلي،أولف، أدرار،الجزائر، ص 112.

[13]. الشيخ سيدي محمد بن سيد المختار الكبير، الطرائف والتلائد، مخطوط ، خزانة شيخ الركب النبوي، الزاوية-أقبلي، أولف ، أدرار ، الجزائر،ص 184.

[14]. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق1964، ص 125و303.

[15]. إدريس العراقي، اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، مرقون ضمن أعمال ندوة الطريقة التجانية التي انعقدت بفاس من23إلى29 دجنبر1985، ص 25.

[16]. أبوالقاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، (جزآن)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1991م، ص 281.

[17] .يرى أبو نصر جميل أن عين ماضي التي ولد فيها أحمد التجاني بنيت في القرن الخامس الهجري/ 11م، وإن الذي شرع في بنائها قرب إحدى العيون يسمى ماضي بن يعقوب، وهي العين التي حملت إسمه ثم القرية، أيضا بعد ذلك التي حملت نفس الإسم. ينظر:

Abu-Nasr (J), The Tijaniyya, A sufi order in the modern world. Oxford University. Press. London New york, Toronto, 1965, p16.

[19] .Coppolani (x) et octave (D), les Confréries Religieuses Musulmanes, Alger 1897 , pp413.

[20] .علي حزام برادة: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على حزب الرجيم لعمر بن سعيد الغوتي الكدوي،ج1، دار الجيل، بيروت 1988م، ص24.

[21]. المصدر نفسه.

[22]. نفسه، ص26.

[23]. إدريس العراقي: اليواقيت العرفانية، مصدر سابق، ص11.

[24] Awad(m.). Un Fondateur de Confrériee Religieuse Maghrebine- Sidi Ahmed Al tagani(1737-1815), R.M .E, n 2, 1992, P258,n.7

[25]. علي حزام برادة: ج1، مصدر سابق، ص24.

[26] .الحفناوي: المصدر سابق، ص281. ومن بين الذين التقى بهم بمدينة فاس نذكر:

- مولاي الطيب بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن ابراهيم اليملحي، العلمي الوزاني (تـ 1180هـ)؛

- سيدي محمد بن الحسن الونجلي (تـ 1185م)؛

- سيدي عبد الله بن سيدي العربي المعني الأندلسي (تـ 1188م)؛

- سيدي أحمد الطواش نزيل تازة (تـ 1204هـ)؛

ينظر: علي حرازم برادة: المصدر السابق، ص37 وما يليها. إدريس العراقي، مصدر سابق، ص14.

[27] .علي حرازم برادة: المصدر نفسه، ص41.

[28]. .المصدر نفسه، ص43.

[29]. الحفناوي: مصدر سابق، ص284. وكانت زيارته لتوات في حدود سنة 1196هـ.

[30]. .إدريس العراقي: مصدر سابق، ص19.

[31].علي حرازم برادة: المصدر السابق، ص43.

[32]. Rinn (L), Marabout et Khouan, étude sur l'islam en alger 1884,p420.

[33] .ينظر: coppolani(x),et octave(d);opcit;p416

- Rinn (L), Marabout et khouan, étude sur l’islam en Alger 1884, p420

[34] .محمد مكحلي: ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني:1707م-1827م، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس2003م/ 2004م،ص 224.(غير منشورة).

[35] .ينظر: تلمساني بن يوسف: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الإسنعمارية)، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1418هـ/ 1998م، ص 42 وما بعدها. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص ص227-229.عبد الرحمن تشايجي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى،ص62. عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر1988م،ص118-126.

[36] . ولد الحاج عمر بن سعيد الفوتي عام 1212هـ/ 1797م، في قرية حلوار ،قرب بودور على الحدود السنغالية الموريتانية، شرق مدينة سان لوي. وفي عام1826م ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وقد طاف بالعديد من عواصم المغرب، ودرس علوم اللّغة والأدب والشريعة على أجلة الشيوخ ولقي الترحاب منهم ما عدا علماء الأزهر الذين اختلف معهم حول مسائل فقهية واعتقادية. وفي مصر انضم إلى الطريقة التيجانية، وحصل على المشيخة من شيخها الغالي التيجاني، ثم عاد إلى بلاده، وكانت الثروة العلمية التي حصل عليها قد أضفت عليه هالة من التقديس والإكبار وقد أتلح له ذلك استقبالا رائعا في المناطق التي زارها وعند رجوعه إلى مسقط رأسه أسس رباطا للعبادة بفوتاجالون قضى به سبع سنوات يعظ، ويرشد ويعلم، وينشر مبادئ الطريقة التيجانية، وانضوى تحت لوائه أنصار وأتباع كثيرون آمنوا بدعوته وطريقته الدينية التيجانية وفي عام 1848م أعلن الجهاد في سبيل الله ضد الإمارات الوثنية وركز أعماله وجهوده على نشر الإسلام، ومحاربة الوثنية والعادات السيئة الخليعة ومحاربة الاستعمار والمتعاونين معه وقد توج هذه الأهداف بعزمه على تحقيق وحدة البلاد الإفريقية في ظل الإسلام.

ينظر: يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ص ص 165-168. نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1975م، ص ص 119-122. عمار هلال: المرجع السابق، ص 118 وما يليها.

[37] .نعيم قداح، المرجع نفسه، ص119.

[38] .الدجاني أحمد صدقي: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، بيروت 1988م، ص34 وما بعدها.

[39] .عبد الرحمان تشايجي: مرجع سابق، ص ص 60-61.

[40] .الدجاني أحمد صدقي: المرجع السابق، ص 282،وما يليها.

[41] .صادق مؤيد العظم: رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا،ترجمه عن العثمانية د.عبد الكريم أبوشويرب وراجعه د.صلاح الدين حسن السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1998م،ص 111.

[42] .المصدر نفسه.

[43] . المصدر نفسه، ص113.

[44] .إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص224. عبد الرحمان تشايجي، مرجع سابق، ص61.

[45] .صادق مؤيد العظم: المصدر السابق، ص.115

[46] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص224.

[47] .صادق مؤيد العظم: المصدر السابق، ص121.

[48] .Deporter, La question du Touat au Sahara Algérien, Alger : Fontana, 1891, p40.

.

[49] .كان السي قدور بن حمزة يقوم بزيارة سنوية إلى مقاطعات اوقروت وتينركوك وتيميمون وجريفات، لأن سكان هذه المقاطعات أغلبهم من عرب الخنافسة وأولاد إبعيش، حيث يقدمون له خدمات في مجالات شتى ويدفعون له الغِفَارة وتُعرف محليا بأنه دين ثابت يدفع سنوياً إلى الشرفاء مكافأة لهم وإلى أولاد سيدي الشيخ(الزوى).أما الزيارة فهي ما يمنح بمحض الإرادة إكراما لولي من أولياء الله الصالحين لذا يبدو للباحث أنها عكس الغفارة التي تعتبر دينا ثابتا.

ينظر: Deporter, l'extrême sud de l'Algérie, Alger, Fontana, 1889-1891,p108.

[50] .يذكر أحد الباحثين أن الشيخ بوعمامة قد اعتنق الطريقة الشيخية، والتي تعود في جذورها وتسلسل ولايتها إلى عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبهذا الطرح نفسه بديلا للمريدين والمقدمين من كل الطرق الصوفية بالمنطقة، بمعنى أوثق إنه أول تجديد في لغة الحواريين أتباعه. ينظر: محمد الأمين بلغيث: تاريخ الجزائر المعاصر(دراسات ووثائق، وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة)، الجزائر، بيروت، دار البلاغ للنشر والتوزيع، دار ابن كثير، 1422ـ/ 2001م ،ص 67.

[51] Martin,Quatre siècles d'histoire Marocaine Au Sahara (1504-1902), Paris, 1993 , pp200-204.

[52] .أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان،1998م، ج1،ص515. محمد الأمين بلغيت، المرجع السابق، ص66.

[53]. أبو القاسم سعد الله المرجع نفسه، ص515.

[54]. يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائرفي الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر1999م، ص157.

[55] . **مدينة كرزاز** تقع جنوب قرى بني عباس، في طريق القوافل بين الشمال و توات وهي حاليا إحدى دوائر ولاية بشار الواقعة في الجنوب.

[56] . إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص223.

[57]. ينظر: مجلة النخلة.سبع قطب ثقافي وديني، مرجع سابق، ص42.

[58] . copplani(x.),op.cit,p463

وانظر أيضا: محمد الأمين بلغيث:مرجع سابق،ص.67

[59] . عبدالله طواهرية: جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف،دار الهدى عين مليلة، قسنطينة، الجزائر2005م، ص183.

[60] . يعود الفضل في ذلك الى الحاج أبوحفص و الشيخ محمد بن عبدالله الجوزي (ت1269هـ) دفين أولاد سعيد .

[1] البرتلي: فتح الشكور...، مصدر سابق، ص ص 201-206، ومقر الطريقة يوجد بالزاوية الرقانية التي تبعد عن مدينة دار بحوالي 150 كلم.

[61] .جرت هذه المعركة بتاريخ 05جانفي1900م وقد دفن الشهداء في الأماكن التي سقطوا فيها وسميت هذه المنطقة بمقبرة الشهداء يفد إليها الناس من كل جهة للترحم على الشهداء. ولقد مكثت جثثهم عشرات السنين في مدافنهم ولم تتغيّر.وفي المدة الأخيرة قامت بلدية عين صالح بإعادة تغطيتهم ووضع سياج على المقبرة.

[62] .نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن بوزيان (ت1145هـ)وتذهب مصادر الطريقة الزيانية إلى أن الشيخ المؤسس هو السابع والثلاثون في سلسلة الطريقة الشاذلية. ينظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق،ج1، ص 504-505.

[63] .نسبة إلى الشيخ سيد أحمد البكاي، وهي فرع من القادرية ومركزها بقصر زاوية كنتة.

[64] .نسبة إلى مؤسسها الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم (ت1133هـ) وهي فرع من القادرية.

[65] .يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن أتباع الملياني (ت931هـ) قد اضطهدوا في المغرب الأقصى والجزائر، واضطر الملياني نفسه إلى الكتابة إلى أهل توات ينهاهم عن اضطهاد أتباعه هناك، المرجع السابق،ص 496-497.

[66] .نعيم قداح: مرجع سابق، ص 119. يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا...، مرجع سابق، ص 15-16.

[67] .المرجع نفسه، ص 123-124.

[68] .يذكر نعيم قداح أن المريدية أقامت المخازن والمحلات التجارية لخزن وبيع المحصول، وقد عمل في هذه المؤسسات أتباع الطريقة ينظر نعيم قداح :مرجع سابق، ص 124.